بحث في الرّوح

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية

بحث في الرّوح

في يوم الخميس الموافق 2 تشرين الثّاني

1911 ألقى حضرة عبد البهاء الخطبة التّالية:

هو الله

لقد جئت إلى أوروبّا وباريس، فلاحظت أنّ أوروبّا بلغت في الأمور المادّيّة نهاية الرّقيّ. إلاّ أنّني لم أجد تأثير الأمور الرّوحانيّة ونفوذها متوفّرًا كما يليق وينبغي. لهذا وجدت من الضّروريّ أن نبحث اللّيلة في شأن الرّوح.

الرّوح فيض إلهيّ أشرق على جميع الكائنات. فللكائنات جميعًا منها فيض ونصيب. مثلها مثل الشّمس الّتي تشرق على جميع الكائنات الأرضيّة. ذلك لأنّ جميع الأشياء الموجودة على كرة الأرض تنمو وتتربّى بفيض الشّمس، وتتلقّى النّور والضّياء منها. إلاّ أنّ هذا الفيض يظهر في كلّ رتبة على مقتضاها، فلشعاع الشّمس تأثير في الأجسام الصّخريّة إلاّ أنّ له في الأجسام الشّفافة ظهورًا وتجلّيًا آخر. وعلى الرّغم من أنّ الشّمس واحدة إلاّ أنّ ظهورها في الأجسام متنوّع.

كذلك شأن الرّوح ، فظهورها في مراتب الوجود يتحقّق بمقتضى هذه المراتب. فهي في عالم الجماد قوّة جاذبة تحدث اجتماع الأجزاء الفرديّة. وهذه الحال هي حياة الجماد ذلك لأنّ الجماد في مرتبته حيّ أيضًا وليس ميتًا، وهي في عالم النّبات قوّة نامية وهي الرّوح النّباتية.

وأمّا القوّة الحسّاسة في عالم الحيوان فهي الرّوح الحيوانيّة، وهذه القوّة الحسّاسة تتأتّى من تركيب العناصر وامتزاجها، وهي من مقتضيات الامتزاج والتّركيب.

وأمّا في عالم الإنسان فالرّوح كيفية تنبعث أيضًا من تركيب العناصر إلاّ أنّه تنضمّ إليها النّفس النّاطقة والقوّة العاقلة. وهذه الرّوح الإنسانيّة أي النّفس النّاطقة محيطة بالأشياء ومدركة وكاشفة لها، فهي تنقل أسرار الكائنات من حير الغيب إلى حيّز الشّهود. وهذه هي القوّة الّتي تأتي بجميع الصّنائع والعلوم والفنون المادّيّة من حيّز الغيب إلى حيّز الشّهود، وبالرّغم من أن هذه القوّة غير محسوسة لا ترى بالحواس الظّاهرة إلاّ أنّها تدرك بالحواس الباطنة.

غير أنّ هذه الرّوح ليست هي المقصودة بالرّوح في عرف الرّوحانيّين وإنّما المقصود هو الرّوح الأبديّة أي الحياة الإيمانيّة، تلك هي الرّوح الّتي يشير إليها السّيّد المسيح قائلاً يجب أن يتعمّد بها الإنسان، وما لم يتعمّد بها فلن يدخل في الملكوت الإلهيّ، كذلك يتفضّل في الإنجيل بقوله: "إنّ المولود من الجسد هو جسد والمولود من الرّوح هو الرّوح"، وكذلك يتفضّل بقوله: "دع الموتى يدفنون موتاهم" ذلك لأنّ الّذين لا يؤمنون بالله محرومون من الرّوح الإيمانيّة الحقيقة وإن توفّرت لهم الرّوح الإنسانيّة، ولهذا فهم في حكم الأموات، إذ على الرّغم من أنّهم يحيون حياتهم النّاسوتية إلاّ أنّهم محرومون من الحياة الملكوتيّة.

وقد بُعث الأنبياء كي يحيوا الرّوح الإنسانيّة بالرّوح الملكوتيّة فهذه الرّوح هي سبب سعادة العالم الإنسانيّ وهذه الرّوح هي سبب الحياة الأبديّة. وهذه الرّوح هي سبب السّعادة السّرمديّة، وهذه الرّوح هي سبب الدّخول إلى ملكوت الله. وهذه الرّوح هي الّتي تجعل الإنسان النّاسوتي لاهوتيًّا. وهذه الرّوح هي الّتي تحوّل الظّلمانيّ إلى النّورانيّ. فإذا تأيّدت هذه الرّوح بنفثات الرّوح القدس صار لها نفوذ وأحيت العالم، وحوّلت العالم الإنسانيّ إلى عالم سماويّ، وجعلت الجاهل عالمًا، وبدّلت الظّلمات نورًا، وعمّمت التّعاليم الإلهيّة ونشرت شريعة الله، وروّجت أوامر أورشليم الإلهيّة النّازلة من السّماء. وهذه الرّوح هي الّتي تجعل الإنسان الأرضيّ إنسانًا سماويًّا.

ولمّا كانت جميع المظاهر الإلهيّة مؤيّدة بهذه الرّوح فهي إذًا واحدة وحقيقة تعاليمها واحدة بفضل هذه الرّوح. ذلك لأنّ الرّوح القدس واحدة. فالإنسان مهما ارتقى في الأمور المادّيّة وظلّ محرومًا من الفيض الأبديّ أي من الرّوح الإيمانيّة فإنّه لا يعدو أن يكون قد ارتقى في الرّتبة الحيوانيّة، ولا يمكن أن يسمّى إنسانًا. ذلك لأنّ الإنسان مثال إلهيّ، كما ورد في التّوراة قوله نخلق إنسانًا على صورتنا ومثالنا.

ثبت إذن وتحقّق أنّ الإنسان الحقيقيّ صورة ومثال إلهيّ، بمعنى أنّه يستفيض من جميع الكمالات الإلهيّة. وهذا الإنسان مثله مثل المرآة، والفيوضات الإلهيّة مثلها مثل أشعّة الشّمس، فالكمالات الإلهيّة أي جميع

الأسماء والصّفات الكماليّة تتجلّى في هذه المرآة. وهذا الإنسان هو مركز الرّوحانيّة كما أنّ الشّمس مركز نور العالم المادّيّ وهذه النّفس المباركة تنفخ الحياة في القلوب أيضًا أي أنّها تجعل النّاس روحانيّين فتتجلّى فيوضات الرّوح في القلوب. وهذه النّفس المباركة هي المعلّم الأوّل للعالم الإنسانيّ، والمتجلّي الأوّل على الممكنات.

وأنتم تلاحظون أنّ هذه النّفس المباركة ظهرت منذ ألفي سنة وما زالت آثارها ظاهرة إلى اليوم وموجودة، وظهرت منذ ثلاثة آلاف سنة وما زالت آثارها باهرة. وبالرّغم من أنّ هذ الآثار لا تشاهد في عالم الأجسام إلا أنّها موجودة في حيّز الملكوت. ولهذا فآثارها باهرة وأنوارها ساطعة. والشّيء المنعدم لا أثر له. ومن المحقّق أنّ هذه الآثار الباهرة المأثورة هي من نتائج الوجود. إذ لا تأثير للشّيء المعدوم. إنّ هذه الآثار الباهرة الّتي بقيت بفضل هذه النّفوس الكاملة دليل على وجود تلك النّفوس، وعلى أنّ لها حياة ملكوتيّة وكمالات إلهيّة.

فيجب علينا إذن أن نصبح جميعًا روحانيّين، سماويّين، ربّانيّين. إذ مهما ارتقينا في عالم الطّبيعة والمادّيّات إلاّ أنّنا ما نزال ناقصين حتّى ينضمّ هذا الرّقيّ إلى التّرقّيات الرّوحانيّة. والجسد مهما بلغ من الجمال غاية فإنّه لا يزال بلا ثمر إذا حرم من الرّوح. والإنسان مهما توفر له من الرّقي المادّيّ فإنّه يظلّ بلا نتيجة إذا حرم من الرّوح الملكوتيّة. وكما أنّ البلّور مهما بلغ من اللّطف والشّفافية فإنّه يبقى عديم الفائدة إذا فقد النّور والشّجرة إن توفّرت لها الطّراوة والخضرة وعدمت الثّمر لم تصلح إلاّ للنّار. والآدميّ إن توفّرت له صورة الإنسان وحرم من نفس الرّحمن لا يعدّ إنسانًا وغاية أمره أنه بلغ مرتبة الحيوان الكامل، وانطبق عليه ما قاله داروين الفيلسوف الإنجليزي من أنّ الإنسان من سلالة القرود.

إنّني مسرور بكم. ذلك لأنّني أرى فيكم إحساسات، فأنتم أحياء متحرّكون ولستم خاملين، وأنتم متوجّهون إلى الله ولستم قانطين من رحمته ومنتظرون للفيوضات الإلهيّة. وآمل أن يكون كلّ فرد منكم مستنيرًا بالنّور الملكوتيّ حتّى تنيروا الآفاق جميعًا كهذا المصباح بإذن الله.